التَّفْسِيرُ العِلْمِيّ فِي القُرْآنِ الكَرِيم
مَعَ نَمَاذِجَ تَطْبِيقِيّة

م. م. أسعد محسن كاظم
جامعة المصطفى (ص) العالمية

الخلاصة:

ما مدى صلاحية العلم في تفسير القرآن؟،أو ما مدى صلاحية تفسير القرآن بالعلم؟ هناك عدة أسباب يمكن ذكرها ساعدت في نشأة و شيوع هذا المنهج:

١. ما ورد في بعض الآيات القرآنية، من الحثِّ على التفكر والتدبُّر والنظر في آيات الأنفس والآفاق، قال تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى»[١]، وقال: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»[٢] وقال: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ»[٣].

٢. نتيجة للشبهات والإشكالات التي طُرِحت، وازدادت في العصور المتأخرة، بأنّ الدين يعارض العلم، ويتصادم مع نتائج الأبحاث العلمية، أدى ذلك ببعض العلماء أن يتصدوا للدفاع عن القرآن، وإثبات عدم مخالفته للعلم. ٣.

إن القرآن الكريم بوصفه كتاب الإسلام الخالد، لم ينزله الله تعالى لجيلٍ معين لينتهي أجَلَهُ بزوالهم، فقد ورد عن الصادق (عليه السلام): «إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا». ٤. إنَّ مطابقة القوانين والنظريات العلمية لما ذكره القرآن، لهو من ألوان إعجازه. ٥. يرى بعضهم أنه لا سبيل لإحياء هذا الدين إلا من طريق الحوار بلغة العصر الذي نحن فيه، وهي لغة العلم بلا جدال، وأن نتبين بعض أسرار الله تعالى في آفاق كتابه المنظور وكتابه المسطور...

المقدمة:

اهتم المصلحون في صدر الإسلام بتفسير القرآن الكريم، ولعلها من أقدم الممارسات العلمية التي عهدت عنهم منذ عصر النزول، وكانت الطبقة الأولى من مفسري المسلمين من الصحابة كابن عباس وأُبي بن كعب وغيرهم قد اعتنوا بهذا الشأن، ولم يكن يتجاوز عن بيان الجهات الأدبية للآيات وشأن نزولها مع قليل من الاستدلال ببعض الآيات على بعض - تفسير القرآن بالقرآن- وكذا القليل من التفسير بالروايات عن النبي (ص) في القصص والمعارف المتعلقة بالمبدأ والمعاد وغيرها.

ثم درج على هذا الحال المفسرون من التابعين كمجاهد وقتادة والشعبي والسدي في القرن الأول والثاني للهجرة، غير أنهم ازدادوا من الروايات في التفسير- على أن فيها روايات دسها اليهود أو غيرهم- في القصص والمعارف الخاصة بالخلقة كابتداء خلق السموات وتكوين الأرض والبحار...

ثم ظهرت الاتجاهات التفسيرية الكلامية؛ بسبب شيوع المباحث الكلامية والفلسفية مع اختلاط المسلمين بالفرق المختلفة أثر الفتوحات الإسلامية، فكانت كل فرقة من المسلمين كالمعتزلة والأشاعرة تفسر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها.

ومن جهة أُخرى كانت الاختلافات الدينية وما تفرع عنها من اختلافات فقهية تركت أثرها على تفسير آيات الأحكام.

وفي القرن الثالث وما تلاه ظهرت أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوفة، فظهر المنهج الإشاري في التفسير.

مع بقاء جماعة على التعبد المحض بالظواهر الدينية مكتفين بنقل الروايات، فنشأ المنهج الروائي في التفسير.

وبعد ذلك ظهرت تفاسير فقهية موضوعية على شكل آيات الأحكام. ثم ظهرت في القرنين (الخامس) و(السادس) الهجري التفاسير الجامعة مثل: التبيان، ومجمع

البيان، بالاعتماد على العقل، والاجتهاد، ومراعاة جميع الجوانب في التفسير. واستمرت هذه الطريقة إلى العصر الحاضر. وقد تطورت في العصور الأخيرة أساليب ومناهج جديدة في التفسير: كالتفسير الاجتماعي، والتفسير العلمي (محل البحث)، والذي كانت جذوره الأولى ـ كما ستتضح لنا ـ ترجع إلى أواخر القرن الرابع الهجري منذ عهد الشريف الرضي، ثم مرَّ بمراحل وأدوار سيأتي ذكرها. كما سنتطرق إلى خلفياته ومبرراته، وآراء العلماء، وأدلة الموافقين والمخالفين، ونماذج منه، وغير ذلك ... لأنّ الهدف من البحث هو معرفة مدى صلاحية العلم في تفسير القرآن.

المصطلحات الأساسيّة

أولاً: المنهج

لغةً: الطريق. أو الطريق الواضح[٤].

وفي الاصطلاح فقد عُرِّفَ بتعاريف عدة منها:

١-الطريق المؤدي إلى الكشف عن حقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد التي تهيمن على سير العقل[٥].

٢- وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة[٦].

٣-الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم[٧].

٤-القواعد المنظمة للوصول إلى حقيقة معينة، وقد تختلف تلك القواعد باختلاف العلوم[٨].

والمعنى المحصل من أغلب هذه التعريفات هو كونه طريق للكشف عن الحقيقة في العلوم.

أقسام المنهج:

وتقسم المناهج بشكل أولي على قسمين[٩]، هما:

أ-المنهج التلقائي : ويراد به ما يزاوله عامة الناس في تفكيرهم وأعمالهم من دون أن يكون هناك التفات منهم إليه.

ب- المنهج التأملي: وهو ما نسميه ونصطلح عليه بالمنهج وسمي بالتأملي لأنه جاء نتيجة التأمل الفكري الذي أدى إلى وضع قواعده وأصوله. وهو ينقسم على قسمين رئيسين، هما:

أ-المناهج العامة: وتعرف بالمناهج المنطقية أيضا.

ب- المناهج الخاصة: وتسمى المناهج الفنية أيضا.

والمناهج العامة: هي تلكم القواعد المنهجية العامة التي يرجع إليها عند البحث في أي حقل من حقول نوع عام من أنواع المعرفة. وتنقسم المناهج العامة على أقسام عديدة، منها:

١- المنهج النقلي.

٢- المنهج العقلي.

٣- المنهج الوجداني.
٤- المنهج التجريبي.
ولتعلق موضوع البحث بالقسم الأخير؛ لأنه يمس جانباً من ظواهر وعلوم الطبيعة، نورد تعريفاً مختصراً له.
فالمنهج التجريبي: هو طريقة دراسة الظواهر العلمية في العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. ويعدّ المنهج التجريبي المنهج العلمي الحديث ، وأهم ما تمخضت عنه النهضة العلمية الحديثة في أوروبا من معطيات فكرية . وكانت نشأة هذا المنهج العلمية قد تمت في القرن السابع عشر على يد (فرانسيس بيكون Francis Bacon) إذ سيطر المنهج الاستقرائي سيطرة كاملة على مناهج العلماء في العلوم الطبيعية . . . ثم طبق - مع تعليلات خاصة - في العلوم الإنسانية[١٠]. هذا ما يتعلق بالمنهج بشكل عام.
وأما المنهج التفسيري فعرف بـ:
١- الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن، والتي يمكن من خلالها تبيين معنى الآية والحصول على نتائج مشخصة[١١].
٢- كيفية كشف معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم[١٢].
٣- الطريقة المنظمة التي يتبعها المفسر لبيان مراد الحق تبارك وتعالى من خلال الآيات الكريمة.
الفرق بين المنهج والاتجاه: يعتمد المنهج في الأساس على كيفية كشف المعنى والمقصود من الآية، ويقوم على أساس المصادر والأدوات التفسيرية والوسائل، والتي ترتبط بالمادة المفسرة أكثر من ارتباطها بالمفسّر.
وأما الاتجاه فالمحور الأساس فيه هو شخص المفسّر أي اعتقاداته وذوقه وميوله الفكرية والسياسية و...[١٣]

ثانياً: التفسير

التفسير لغة: الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره - بالكسر - ويفسره - بالضم - فسرا، وفسره: أبانه، والتفسير: مثله، والفسر: كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل[١٤].
وفي الاصطلاح، فقد جاء بمعان عدة، منها:
أ-عرفه الزركشي في البرهان بأنه: علمٌ يُعْرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[١٥].
ب- ذكر السيوطي أنه: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[١٦].
ج- بيان معاني الآيات القرآنية والكشف عن مقاصدها ومداليلها[١٧].

د- إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، أي المشكل في إفادة المعنى المقصود[١٨].

ثالثاً: العلم

العلم في اللغة بمعنى الإدراك و المعرفة أو: حضور صورة الشيء عند العقل[١٩]، وأما في الاصطلاح، فقد جاء بعدة معان مختلفة، منها:

أ-الاعتقاد اليقيني المطابق للواقع في قبال الجهل البسيط والمركب[٢٠].

ب- مجموعة القضايا الحقيقية التي تدور حول محور خاص[٢١].

ح- نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء[٢٢].

د- القضايا القابلة للإثبات عن طريق الحس والتجربة، وهو المعنى الشائع في هذا العصر- عند أصحاب المدرسة الوضعية- وعلى أساسه لا يعدّون العلوم والمعارف غير التجريبية من أقسام العلم[٢٣].

وما نقصده من العلم في منهج التفسير العلمي هو المعنى الأخير، وأما العلم الفلسفي والإلهيات فخارج عن دائرة البحث هنا.

والسؤال المحوري الذي نطرحه في هذا البحث ، ونجيب عليه، هو: ما مدى صلاحية تفسير القرآن بالعلم بهذا المعنى؟

التعريف التركيبي لمنهج التفسير العلمي للقرآن

فيما يأتي نذكر تعريفات عدّة لمنهج التفسير العلمي للقرآن:

١- العلامة محمد حسين الطباطبائي في الميزان، قال: «إن هذا الطريق في البحث أحرى به أن يسمى تطبيقاً لا تفسيرا، ففرق بين أن يقول الباحث عن معنى آية من الآيات: ماذا يقول القرآن؟ أو يقول: ماذا يجب أن نحمل عليه القرآن؟»[٢٤]

ولعل مقصوده قسم خاص من أقسام التفسير العلمي، وهو النظريات العلمية والفرضيات التي لم تصل إلى حد القطع، وتطبيقها على القرآن، وهو ما يؤدى إلى التفسير بالرأي الممنوع، وسيأتي أن الطباطبائي نفسه استفاد في تفسير بعض الآيات من اكتشافات العلوم في مواضع متعددة.

٢-عرفه الدكتور محمد حسين الذهبي: قال: «التفسير الذي يحكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية»[٢٥]

ويلاحظ أنه خصّ القسم الثاني (حسب التقسيم الآتي لأنواع التفسير العلمي) بوضوح، والظاهر أنه قد قصد القسم الأول كذلك دون القسم الثالث (استخدام العلوم في فهم القرآن).

٣-الدكتور عبد المجيد عبد المحتسب: قال: «التفسير الذي يتوخى أصحابه

إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها»[٢٦]

والتعليق عليه: أنه يظهر من كلامة قصد القسمين الأول والثاني ، كما سيأتي من ذكر لأقسامه.

٤-عبد الغفور محمود مصطفى: «التفسيرات التي تكشف في بعض الآيات معاني وإشارات لم تكن معروفة من قبل، ولا كان بالإمكان معرفتها، لأنها نتيجة ما تم من كشف علمي وتقدم فيما يسمى بالعلوم الحديثة»[٢٧].

ولعله يشير إلى القسم الثالث وهو الأكثر مقبولية من الأقسام الثلاثة المتقدمة.

البعد التاريخي للموضوع

كان الغالب على التفاسير في القرون الأولى من عهد الرسالة الإسلامية هو التفسير بالأثر، وهذا ما كان يصبغ جُل التفاسير. ولعلهم كانوا يبتعدون عن تفسير القرآن تفسيراً فيه شيء من التحليل العلمي وإعمال الفكر؛ تجنباً عن الاتهام بالتفسير بالرأي المنهي عنه. وقد كان ذلك النمط سائراً إلى أواخر القرن الرابع الهجري.

وفي أواخر القرن الرابع أحسَّ العلماء بحاجة شديدة إلى التفسير العلمي والتحليلي، منضماً إلى ما ورد عن النبي (ص) والأئمة (ع)[٢٨]. فبدأ بالشريف الرضي إلى أن صار شائعاً إلى عصرنا الحاضر[٢٩].

الرواد الأوائل:

أول من فتح هذا الباب من الشيعة – على ما نقل في المصادر – وفسّر على هذه الطريقة، الشريف الرضي (٣٥٧-٤٠٦ هـ) مؤلف حقائق التأويل – عشرون جزءً- ، ثم جاء بعده أخوه: الشريف المرتضى (ت ٤٣٦) في أماليه المعروف (الدرر والغرر)، إلى أن وصل الدور إلى تلميذه الشيخ الطُوسي (ت ٤٦٠) مؤلف (التبيان)[٣٠]، ثم شاع هذا المنهج في جميع العصور، وإلى عصرنا الحاضر.

رجالُ التفسير العلمي ومصنفاتهم:

١ – الشريف الرضي- حقائق التأويل.

٢ – الشريف المرتضى – الدرر والغرر.

٣- الشيخ الطوسي- التبيان في تفسير القرآن.

٤ – الخواجة عبد الله الأنصاري- كشف الأسرار وعدة الأبرار.

٥ – أبو حامد الغزالي- إحياء علوم الدين، وجواهر القرآن.

٦ – فخر الدين الرازي- تفسير مفاتيح الغيب.

٧- ابن أبي الفضل المرسي.

٨ – الزركشي- البرهان في علوم القرآن.

٩ – جلال الدين السيوطي- الإتقان في

علوم القرآن، ومعترك الأقران.

ومِن المتأخِرين:

١- العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ)

٩-الملا هادي السبزواري (١٢١٢ ١٢٨٩).

١- الشيخ الطنطاوي جوهري (١٨٦٢م) - الجواهر في تفسير القرآن الكريم.

٢- محمد عبده (١٨٤٨-١٩٠٥م) - لم يترك تفسيراً كاملاً.

٣- السيد عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠ هـ)- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.

أسباب نشوء التفسير العلمي:

هناك أسباب عدّة يمكن ذكرها ساعدت في نشأة و شيوع هذا المنهج:

١- ما ورد في بعض الآيات القرآنية، من الحثِّ على التفكر والتدبُّر في آيات الحق تعالى في أرجاء الكون[٣١]، كما في قوله تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[٣٢]، وقوله تعالى: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»[٣٣].

٢- نتيجة للشبهات والإشكالات التي طُرِحت في كل الأزمنة، وازدادت في العصور المتأخرة، والدعوات الإلحادية ضد الأديان السماوية، وأنّ الدين يعارض العلم، وما حصل في الغرب من انحسار دور الكنيسة من الحياة العامة؛ بسبب تصادم معتقداتها مع نتائج الأبحاث العلمية التجريبية، أدى ذلك إلى شعور المسلمين وخاصة بعض العلماء بوجوب الدفاع عن القرآن، وإثبات عدم مخالفته للعلم[٣٤].

٣-إن القرآن الكريم بوصفه كتاب الإسلام الخالد، لم ينزله الله تعالى لجيلٍ معين لينتهي أجَلَهُ بزوالهم، وإنما أنزله للجميع من كان معاصراً ولمن يأتي بعد ذلك، ومن حق كل جيل أن يفهم من القرآن ما يصل إليه بحثه العلمي نصاً أو استنباطاً[٣٥]، ففي تفسير العياشي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إن القرآن حي لم يمت، وإنه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا»[٣٦].

٤- اعتبار أن مطابقة القرآن للقوانين والنظريات العلمية من ألوان إعجازه، مما دفع المسلمين إلى البحث في هذا الاتجاه.

٥- يرى البعض أنه لا سبيل لإحياء هذا الدين إلا عن طريق الحوار بلغة العصر الذي نحن فيه، وهي لغة العلم بلا جدال، وأن نتبين بعض أسرار الله تعالى في آفاق كتابه المنظور وكتابه المسطور[٣٧]

أقسام التفسير العلمي:

ذكروا للتفسير العلمي أقسام عدّة هي:

١-تحميل النظريات على القرآن.

٢-استخراج العلوم من القرآن.

٣-استخدام العلوم في فهم القرآن.

أدوار التطور التاريخي لهذا المنهج[٣٨]

الدور الأول: من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري

بدأت ترجمة الآثار اليونانية إلى اللغة العربية، وسعى بعض علماء المسلمين إلى تطبيق بعض آيات القرآن على الهيئة البطليموسية كابن سينا[٣٩].

وهناك بعض الإشارات العلمية في أحاديث أهل البيت (ع) الواردة في تفسير آيات القرآن، كعدد المشارق والمغارب في قوله تعالى من سورة المعارج: «فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ»[٤٠]، فعن عبد الله بن أبي حماد يرفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «لها ثلاث مائة وستون مشرقا، وثلاث مائة وستون مغربا، فيومها الذي تشرق فيه لا تعود فيه إلا من قابل، ويومها الذي تغرب فيه لا تعود فيه إلا من قابل»[٤١] وهذا يعدّ جزءاً من التفسير الروائي وليس من التفسير العلمي اصطلاحاً.

الدور الثاني: من القرن السادس الهجري

يعتقد بعض العلماء في ذلك العصر بوجود جميع العلوم في القرآن، فحاول استخراجها، والرائد في هذا الاتجاه هو أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، فقد ذهب إلى وجود علوم كثيرة في القرآن، كما ذكر ذلك في إحياء علوم الدين، وقد نقل عن بعضهم أن القرآن فيه ٧٧٢٠٠ علم[٤٢].

الدور الثالث: القرن الثامن عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) وما تلاه

لقد بلغ التفسير العلمي أوج تطوره منذ القرن الثامن عشر على أثر تقدم العلوم في الغرب وترجمة الكتب المختلفة من اللغات الأجنبية إلى العربية في مجالات كثيرة كالفيزياء والكيمياء والطب و...

وقد كانت البداية في هذه المرحلة قد نشأت في أوربا عندما برز التعارض بين العلم المتمثل بالاكتشافات المتسارعة في العلوم الطبيعية وغيرها، وبين الدين المتمثل بالكنيسة وتعاليمها مما أدى إلى انسحاب الكتاب المقدس من الساحة تاركاً المجال للأفكار الإلحادية تأخذ سبيلها في المجتمع، سبَّب ذلك انجذاب الشباب المسلم إلى الثقافة الغربية.

وكان رد الفعل قيام علماء المسلمين بالدفاع عن القرآن لإثبات:

١-أنه لا يوجد تعارض بين العلم والدين.

٢-لإثبات أن هذه الاكتشافات هي أكبر دليل على إعجاز القرآن.

فكُتبت تفاسير عديدة استعملت العلوم في فهم القرآن، أفرط بعضها في ذلك فوقع في التأويلات والتفسير بالرأي المنهي عنه - إذ لم تنقح مباني هذا المنهج بصورة كاملة- أثر ذلك في مشاعر المسلمين فوقفوا موقفاً سلبياً من هذا النمط في التفسير وعدّه شكلاً من أشكال التفسير بالرأي؛ مما حدا ببعض علماء المسلمين خصوصاً في (مصر والشام) إلى أن يقفوا موقفاً منصفاً، ويفرقوا بين التفسير العلمي الصحيح وبين الاستخدامات الباطلة لأهداف مختلفة عند بعضهم الآخر.

آراء علماء الإسلام في التفسير العلمي

اختلف علماء الإسلام والمفسرون حول منهج التفسير العلمي فانقسموا على ثلاث طوائف:

الرأي الأول: الموافقون

هناك مجموعة من العلماء ممن أيد منهج التفسير العلمي منهم:

١-الشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ)

٢- أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ).

٣- الفخر الرازي (٦٠٦ هـ): طبّق بعض المسائل العلمية على القرآن، فاستدل على سكون الأرض بالآية: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً» (البقرة: ٢٢)[٤٣].

٤_ابن أبي الفضل المرسي (٥٧٠-٦٥٥ هـ)

٥_الزركشي (ت ٧٦٤ هـ)

٦_السيوطي (ت٩١١ هـ)

٧_الملا صدرا الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ)

٨_العلامة المجلسي (ت ١١١١ هـ)

٩-الملا هادي السبزواري (١٢١٢ - ١٢٨٩).

١٠-السيد عبد الرحمن الكواكبي (ت ١٣٢٠ هـ) استدل على انفصال القمر عن الأرض بالآية (٤١) من سورة الرعد، وهي قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»، والآية الأولى من سورة القمر، وهي قوله تعالى: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ»[٤٤].

١١-الشيخ الطنطاوي (ت: ١٨٦٢م) في تفسير الجواهر: فقد بالغ في الاستفادة من العلوم. إذ قال: «في القرآن (٧٥٠) آية من آيات العلوم»، وقام باستخراج علوم كثيرة من القرآن مثل علم تحضير الأرواح أو التنويم المغناطيسي بالاستناد إلى الآيات: (٦٧-٧٤) من سورة البقرة، من قوله تعالى «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ

اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً" إلى قوله: «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»[٤٥]، وكذا علم الطب والنبات والأجواء ....

١٢ – أسامة على الخضر– في موسوعة القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم، فقد ذكر تطبيقات كثيرة ومسهبة في مجالات الفيزياء والفلك وعلم الكون، لقد أبدع المؤلف في المفاهيم الفيزيائية، لكنه ذهب بعيداً في تحميل النظريات والمفاهيم على آيات القرآن، دون أدلة قطعية بل مجرد إمكانية واحتمال.

أدلة الموافقين

ذكر القائلون بصحة هذا النهج في تفسير القرآن الكريم، عدّة أدلة على رأيهم، نلخصها بما يأتي:

١– إن استخدام العلوم في تفسير القرآن يؤدي إلى فهم أفضل لآياته.

مثاله: الحديث عن الخمر في القرآن – أن فيه مضار ومنافع– «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» فإن الاكتشافات الطبية الحديثة توضح مفهوم الآية والمراد من المنافع والمضار فيها. حتى أنه يشكل فهم بعض الآيات دون الرجوع إلى العلوم، فنحن نحتاج مثلاً لفهم وتفسير الآية (٥) من سورة الحج: «خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ...» إلى معرفة مراحل خلق الإنسان مثلما نحتاج إلى فهم (علم اللغة) لفهم ألفاظ القرآن[٤٦].

٢– يسهم التفسير العلمي في إثبات إعجاز القرآن، فعندما بين القرآن بعض المسائل العلمية قبل (١٤) قرناً والتي لم تكن معروفة في ذلك الزمان، ويعجز البشر عن الإتيان بمثل هذه المسائل، ثم يتبين صحتها بواسطة العلوم التجريبية بعد مرور قرون عدة، فهذا يثبت إعجاز القرآن وأنه كلام الله تعالى وليس كلام البشر.

وقد أُستدل ببعض الآيات على الإعجاز العلمي للقرآن مثل: قوة الجاذبية، حركة الشمس، تلقيح الرياح للنباتات، وفلسفة تحريم الخمر....[٤٧]

ويُعد الدليلان المتقدمان من أقوى الأدلة لإثبات ضرورة التفسير العلمي مع عدم الاستغناء عن باقي المناهج.

٣– إنه يؤدي إلى إقبال غير المسلمين على القرآن خصوصاً الشباب عندما تُثبت الاكتشافات العلمية أحقية الإشارات المذكورة في القرآن، وقد اعترف بعض المنصفين في الغرب (موريس يوكايل) بصدق القرآن وإعجازه ومخالفة العهدين للكثير من المطالب العلمية في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث)[٤٨]

وهذا الدليل يمكن اعتباره تحصيل حاصل من الدليلين (١ و٢) وليس مستقلاً.

٤- عدّ بعضهم ألاَّ يمكن الاعتماد على الروايات في التفسير لاختلاطها بالإسرائيليات، مع كثرة الكذب والوضع، وثبوت بطلان المنهج العقلي الأرسطي، بدليل تقدم العلوم التجريبية في الغرب والمعارضة في كثير منها للمنهج المذكور، فلم يبقَ إلا التفسير العلمي[٤٩].

وكأنه يريد أن يحصر حصراً عقلياً طريقة تفسير القرآن بالمنهج العلمي.

ويناقش فيه من وجهين:

١-إن بطلان المنهج العقلي من طريق فلسفة وعلوم الغرب غير تام ولو في بعض فروع المعارف، لأن المسائل العلمية التي أحرزت تقدماً كبيراً عن طريق المنهج التجريبي كالفيزياء وغيرها ما زالت بحاجة إلى الاستدلال العقلي لتعميم قوانينها لأن طريق البحث فيها هو بالاستقراء الناقص.

٢-لا يُقبَل قوله في الروايات لأنها على أقسام:

أ.الخبر الضعيف. ب. خبر الواحد الصحيح. ج.خبر الواحد المحفوف بقرينة تورث اليقين والاطمئنان. د.الخبر المتواتر. والمفسر يستفيد من القسمين الأخيرين، ولا داعي لاستخدام ما ذكره في الأخبار الضعيفة والموضوعة، بل إن الخبر الواحد الصحيح لا يقبل في بعض الموارد ويقبل في غيرها على نحو الاحتمال وليس كحجة تعبدية.

٣-ادعى بعضهم اشتمال القرآن على جميع العلوم كالهندسة والطبيعيات والهيئة، وساق لإثبات مدعاه الآية الشريفة: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ»[٥٠] مستدلاً بظهورها، ويناقش فيه:

أ- هناك رأيان أساسيان في سعة حدود القرآن أحدهما أنه متعلق بهداية الناس فهو وإن كان تبيان لكل شيء، ولكن في حدود ما يتعلق بالهداية، والآخر انه تبيان لكل شيء حقاً وعلى إطلاقه، كما ورد في هذا الشأن سبع أو ثمان آيات٥١ فضلا عن الروايات٥٢، لكن ذلك يحتاج إلى ضم مقدمة أخرى وهي وجود عِدل القرآن ومن نزل في بيوتهم، محمد النبي وآله عليهم السلام، كما يثبت هذه الحقيقة الروايات العديدة فضلاً عن الآيات.

ب- نعلم بالضرورة عدم وجود جميع العلوم في القرآن، من معادلات رياضية وغيرها. ولذا أنكر بعضهم هذا الظهور، الذي يوهم بوجود جميع العلوم[٥٣].

الرأي الثاني: المخالفون

هناك مجموعة من العلماء والباحثين ممن رفض هذا المنهج من التفسير، منهم:

١-الفقيه المالكي الأندلسي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) في كتابه الموافقات.

٢-الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣-

١٩٦٤)م. ٣- الدكتور الذهبي. ٤-أمين الخولي. ٥- محمد عبد العظيم الزرقاني، مؤلف مناهل العرفان في علوم القرآن. ٦- محمد عزة دروزة.

قال الشاطبي: «إن الكثير من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين، من علوم الطبيعيات والتعاليم - أي الرياضيات والهندسة- والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون ... وهذا غير صحيح».

ثم استدل على ذلك قائلاً: «لم يدَّع أحد من السلف الصالح هذه الدعوى، وإن القرآن إنما جاء لبيان أحكام الآخرة وما يتعلق بها»[٥٤]

وقد رفض أدلة القائلين بالتفسير العلمي الذين استدلوا بالآيات: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ»[٥٥] و«مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ»[٥٦]، وقال: «إن هذه الآيات ترتبط بحال التكليف والتعبد، والمراد من الكتاب في الآية الثانية هو اللوح المحفوظ»[٥٧]

وقيل أن الرافضين لم يضيفوا شيئاً إلى ما قاله الشاطبي، بل كرروا أدلته بأسلوبٍ آخر.

أدلة المخالفين:

١-لو كان القرآن يحتوي على جميع العلوم لوجدنا إشارة إليه من قبل الصحابة والتابعين في الصدر الأول لأهمية ذلك، والحال لا يوجد من ذلك الشيء؟

ويناقش فيه: إن ذلك يصلح للرد على القائلين بوجود جميع العلوم فيه، ومع عدم وجود جميعها لا يمنع من إمكانية استخدام العلوم في فهم الآيات وتفسير القرآن أضف إلى ذلك أن الإشارات العلمية واضحة في القرآن.

٢-إن القرآن لم ينزل لبيان مسائل العلوم، بل مختص بالأحكام والمسائل التعبدية، فالمقصود بالآية: «تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» هو المسائل التعبدية، وأما الآية: «مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ» فالمقصود به هو اللوح المحفوظ.

ويمكن المناقشة فيه بأن:

أ- لا منافاة بين كون القرآن جاء لبيان مسائل الأحكام ، وبين كونه يحتوي على بعض المطالب العلمية.

ب- إذا كان القرآن جاء لبيان أحكام الآخرة فقط، فما فائدة ذكر الأمثلة والإشارات العلمية؟ أليست هي جزء من القرآن وتحتاج إلى تفسير[٥٨].

١- قد يؤدي هذا التفسير في بعض الموارد إلى الوقوع في (التفسير بالرأي) المنهي عنه. وذلك لسببين:

أ- فقدان التخصص الكافي للأشخاص الذين يتصدون للتفسير، وعدم توفر

شرائط المفّسر فيهم.

ب- قد يسعى قسم منهم باستعمال آيات القرآن إلى ترويج نظرياتهم وأفكارهم التي قد تكون منحرفة.

والجواب على ذلك: إن هذا الكلام قد يصدق جزئياً فيما إذا لم تراعَ الضوابط الخاصة، كما أن هذا المحذور لا يقتصر فقط على التفسير العلمي، بل يشمل كل المناهج فيما لو لم تُراع الضوابط فيها فهي في معرض الوقوع في التفسير بالرأي[٥٩].

الرأي الثالث: القائلون بالتفصيل

هناك عدد منهم قبل قسماً خاصاً من التفسير العلمي تحت شروط معينة ورفض باقي الأقسام منهم:

1- سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦م) صاحب تفسير (في ظلال القرآن)، حيث رفض مثل تطبيق نظرية التطور على الآية: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ»[٦٠]، وقبل تطبيق مثل قوله تعالى: «وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا»[٦١] حيث أن كل شيء في الوجود مخلوق بمقدار وتناسب دقيق[٦٢].

٢- محمد مصطفى المراغي (١٨٨١-١٩٤٥م) شيخ الأزهر، وله موقفان مختلفان من التفسير العلمي، قال: «يجب أن لا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها»[٦٣]

وقد استعمل التفسير العلمي مرات عدة، فقد فسر (العمد) في الآية: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»[٦٤] « بقوة الجاذبية[٦٥].

٣-أحمد عمر أبو حجر، صاحب كتاب «التفسير العلمي للقرآن في الميزان» -رسالة دكتوراه - فقد أورد أدلة الطرفين واختار الرأي القائل بالتفصيل فقال:

«والذي تطمئن إليه النفس بعد النظر في وجهة نظر الفريقين هو أن الذين ينادون بإبعاد القرآن عن التفسير العلمي مصيبون كل الإصابة، إذا كان هذا التفسير قائماً على الظن والوهم، أو التعسف في التأويل، أما إذا كان مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم، فليس هناك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن»[٦٦].

وقال في موقع آخر: «وإنما نذهب المذهب الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، لأنه مادام القرآن كلام الله والكون خلق الله فلا بد أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم»

٤-العلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، قال: «إنما الكلام في أن ما أورد على مسالك السلف من المفسرين (إن ذلك تطبيق وليس بتفسير) وارد بعينه على طريقتهم في التفسير»[٦٧]

ومن جهة أخرى فقد استفاد العلامة نفسه من نتائج العلوم التجريبية في تفسير بعض الآيات مثل:

١) قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»[٦٨].

فقال: «وقد اتضح ارتباط الحياة بالماء بالأبحاث العلمية الحديثة»[٦٩]

٢) قوله تعالى: «وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ»[٧٠] فقال: «ومن المحتمل أن يكون (موسعون) من أوسع في النفقة: أي أكثرها فيكون المراد توسعة خلق السماء كما تميل إليه الأبحاث الرياضية اليوم»[٧١] ولعل المقصود من كلامه ما توصل إليه علماء الفيزياء من توسع الكون وخاصة على يد العالم هابل عام (١٩٢٩)، والذي أصبح من الحقائق المسلَّم بها عند علماء الفيزياء والكونيات وهو جزء مما يسمى بالمبدأ الكوني.

٥- ناصر مكارم شيرازي صاحب تفسير الأمثل.

١- الشيخ محمد هادي معرفة.

٢- الشيخ جعفر السبحاني:

تناول في شروط المفسر: إن من شرائط تفسير القرآن بالمعنى الواقعي الإطلاع على الآراء العلمية فله دور كبير في تفتح ذهنية الإنسان، والحصول على فهم حي للقرآن[٧٢].

أدلة القائلين بالتفصيل

يوجد هذا الرأي - التفصيل - عند مفسرين من الشيعة والسنة، وخصوصاً المتأخرين على اعتبار وجود أقسام منه صحيحة ومعتبرة وأخرى غير صحيحة وغير معتبرة، ندمج فيما يأتي بين أنواع التفصيلات وأدلتها.

أنواع التفصيلات:

١- التفصيل بين التطبيق وغيره

وهذا القول يمكن نسبته إلى كل من السيد محمد حسين الطباطبائي والشيخ السبحاني والشيخ مصباح يزدي، إذ فصلوا بين التطبيق بمعنى انتخاب الآيات التي توافق رأي المفسر وتأويل الآيات المخالفة مما يؤدي إلى التفسير بالرأي وهذا مرفوض، وبين ما إذا كان ظاهر الآيات موافقاً للأمور العلمية القطعية فلا إشكال فيه[٧٣].

٢- التفصيل بين النسبة الاحتمالية والقطعية

وقالوا: في حال نسبة نتائج العلوم إلى القرآن بصورة قطعية فهو مرفوض؛ لأن العلوم التجريبية لا تورث القطع بالمعنى الأخص (المطابق للواقع)، بل تورث (القطع الذاتي)، لأن القرآن- الوحي الإلهي- في نظر المؤمنين منزه عن كل خطأ واشتباه فيكون من التفسير بالرأي. وأما في حال نسبة هذه الأمور إلى القرآن بصورة

احتمالية فلا بأس به[٧٤].

٣- التفصيل بين تحميل النظريات على القرآن واستخدام العلوم في فهم القرآن والأول مرفوض والثاني مقبول.

ذكر ذلك السيد قطب معتبراً عدم إمكان نسبة المسائل العلمية إلى الحقائق القرآنية المطلقة لأنها في معرض التغيير ولكن يمكن الاستفادة من النظريات والحقائق العلمية من أجل فهم مداليل القرآن[٧٥].

وغيرها من التفصيلات كالتفصيل بين التفسير الإفراطي وغير الإفراطي ...

الضوابط الخاصة بمنهج التفسير العلمي

لقد ذكرت عدة ضوابط للاستفادة من هذا المنهج، نلخصها بما يأتي:

١-يمكن تفسير القرآن على أساس العلوم التجريبية بشرط كونها قطعية (القطع العلمي الذي يرجع إلى القطع العقلي).

٢-يمكن تفسير القرآن بالنظريات العلمية غير القطعية المقبولة عند العلماء بشرط عدم نسبتها إلى القرآن نسبة قطعية.

٣-إذا كانت النظرية لا قطعية ولا مقبولة عند العلماء فلا يمكن نسبتها إلى القرآن لا قطعياً ولا احتمالا.

٤-أن تكون الآيات القرآنية هي الأصل والمحور في التفسير وليس النظريات العلمية.

٥- أن يلتزم بالمعاني اللغوية للآيات.

٦- أن لا يخالف التفسير العلمي المسائل الشرعية.

٧- أن يكون تفسيره مطابقاً (للشيء المُفَسَّر) بلا زيادة أو نقصان.

٨- مراعاة الوحدة الموضوعية والتوافق والتناسب بين الآيات[٧٦].

نماذج تطبيقية

ذكِرت عدة تقسيمات لنماذج التفسير العلمي في القرآن:

أولا: تقسيمها إلى: القضايا الكونية، والقضايا النفسية:

ألف: القضايا الكونية:

١-ولادة الكون:

قالوا إن الكون ولد في المراحل الأولى من مادة سديمية، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ»[٧٧].

فقالوا أن الآية تشير إلى المادة السديمية التي تكونت منها جميع وحدات الكون[٧٨].

وأما قوله تعالى: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»[٧٩]، وقوله تعالى: «اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»[٨٠] فقيل إن الآية الأولى منهما تشير إلى مرحلة خلق الكون (ما قبل لحظة الانفجار العظيم) ... وتشير إلى أن الله خلق الكون على وفق عمد غير مرئية «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» ، وهي إشارة

إلى [طول بلانك]، وهو الامتداد أو الطول الذي تتميز به الجسيمات .... وهي لحظة سيطرة قوة الجاذبية الكمية وفيزياء الأوتار الفائقة[٨١]، وجدير بالذكر، أن هناك رواية عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عندما سأله الحسين بن خالد عن قول الله تعالى: «والسماء ذات الحبك»، قال: «هي محبوكة إلى الأرض» وشبك بين أصابعه، قال: فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: «رفع السماء بغير عمد ترونها» قال:" سبحان الله أليس الله يقول :بغير عمد ترونها؟» فقلت: بلى، فقال: «ثم عمد ولكن لا ترونها»[٨٢]. كما أن الآية الثانية تشير إلى (الأوتار الكونية)

توضيح:

أ-نظرية الانفجار العظيم «big bang»: هي النظرية المعروفة في شرح حادثة خلق الكون، والتي تفترض أن مادة الكون كلها كانت مضغوطة في نقطة تكون عندها كثافة الكون لا متناهية ودرجة الحرارة لا متناهية، وقد ذكر علماء الفيزياء الحديثة والكون في القرن العشرين وبشكل متسلسل ومتدرج العديد من الأدلة العلمية ووصلوا إلى ذلك الاستنتاج، لا يسع البحث لذكرها تفصيلا، منها: إشعاع الخلفية الكوني (Cosmic background radiation) ، واثبات توسع الكون بتباعد المجرات عن بعضها البعض بسرعات مختلفة حسب الأبعاد بينها، وقد تقدم ذكره وسيأتي تفصيله قريباً.

ب- طول بلانك: المقصود أن الكون قبل لحظة الانفجار العظيم كان في حجم طول بلانك الذي يساوي (١٠)$^{-٣٣}$ سم، وله عشرة أبعاد رياضية ....

ج-فيزياء الأوتار الفائقة: إشارة إلى أحدى النظريات العلمية والمتأخرة عن نظرية النسبية لأينشتاين المشهورة. وهي باختصار تبحث عن الحل الذي يوحد القوى الكونية الرئيسية الأربع وهي: (قوة الجاذبية، القوى الكهرومغناطيسية، القوى النووية الشديدة، القوى النووية الضعيفة) في مفهوم واحد، ويعطي تفسيراً واحداً لكل أنواع القوى المسيطرة على الكون وكيفية عملها ....

د- الأوتار الكونية: في عام ١٩٨٥م طرح الفيزيائي (إدوارد وتين) فرضية علمية، تقول: إن الكون يحتوي على أوتار كونية قد تخلقت عندما كان عمر الكون ١٠$^{-٣٥}$ ثانية. وهي أوتار طويلة وثقيلة جدا ولا يمكن رؤيتها على الإطلاق. ويقول الفيزيائي (بول ديفيس) في كتابه (أسطورة المادة): «لو تصورنا أن وترا طوله الكون كله لو تكور فلا يشغل من الفراغ إلا أقل من حجم الذرة وأن وزنه يساوي كوكبة

فائقة من عدة كوكبات مجرية»، ويرى (وتين): أن هذه الأوتار الكونية كان لها الدور الحاسم في تكوين المجرات.

٢-السموات السبع:

قوله تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ»[٨٣]، فسَّر ابن سينا العرش بأنه الفلك التاسع، والملائكة بأنها الأفلاك الثمانية (القمر، والشمس، الزهرة، عطارد، المريخ، المشتري، زحل، والثامن هو الفلك الثابت)[٨٤] وقال المجلسي في بحار الأنوار: قالوا: «إن ما ثبت في علوم النجوم أن هناك أفلاكاً تسعة هي ليست معارضة للقرآن، لأن السموات سبع والفلك الثامن والتاسع هو الكرسي والعرش»[٨٥] وكأن الكلام هو نحو جمع بين الآية الشريفة أعلاه وما ذكر مراراً وتكراراً في القرآن من أن السموات سبع .....

٣-تمدد الكون: قوله تعالى: «وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ»[٨٦]

فقد أثبتت الأبحاث والأرصاد الفلكية أن الكون في حالة تمدد، وإن المجرات تبتعد عن بعضها بعضاً حسب علاقة رياضية معينة. وقد حصلت عدة تجارب وإشارات تثبت ذلك مثل: ظاهرة انزياح الطيف الضوئي نحو اللون الأحمر (وهو أطول الموجات الضوئية) ومعنى ذلك أن المجرات تتباعد عنا، وأن الكون في حالة توسع وتمدد حيث أن ابتعاد المجرة يزيد من طول الموجة الضوئية.

وقد اكتشف هابل: «أن المجرات تبتعد عنا بسرعة تتناسب طردياً مع بعدها عنّا». ويمكن كتابة قانون هابل بالصيغة الرياضية الآتية:

سرعة ابتعاد المجرة = ثابت هابل * المسافة

ثابت هابل = ١٥ كم/ ثانية لكل مليون سنة ضوئية.

٤- مصير الكون: قوله تعالى: «»يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ»[٨٧]

هناك ثلاثة نماذج هندسية للكون يترتب على اعتماد أحدها وإثباته من قبل العلماء تصور مصير الكون المستقبلي، وهي:

أ-النموذج الأول: (الكون المسطح): الذي تحكمه الهندسة الإقليدية (حيث مجموع زوايا المثلث ١٨٠ درجة، وأن الخطوط المتوازية لا تتلاقى). إلا أن العلماء استبعدوا هذا الاحتمال لأنهم وجدوا من الخطأ افتراض الكون الإقليدي (المنبسط) قياساً على الأرض المسطحة المستنتج من تسطح رقعة صغير منها فبقي لديهم:

ب- النموذج الثاني: (الكون المفتوح)، وهو الكون الذي تتحكم فيه هندسة القطع الزائد، وفي هذا الكون يكون (مجموع زوايا المثلث أقل من١٨٠ درجة ويكون هناك

عدد لا نهائي من الخطوط المتوازية) ويكون الكون على شكل (سرج الحصان)

ج- النموذج الثالث: (الكون الكروي)، وهو الكون الذي يشبه الأرض حيث (الخطوط المتوازية تتلاقى فيه في نهاية المطاف ومجموع زوايا المثلث فيه أكبر من١٨٠ درجة) ولأن الفضاء يتقوس منكفئاً على نفسه يكون الكون الكروي منتهياً ولكن بلا حدود ...

ويقول الفلكيون أن الشيء الذي سيحسم الأمر في معرفة هندسة الكون، ومن ثم التكهُّن بمصيره هو مقارنة كثافة الكون بالكثافة الحرجة.

فإذا كانت كثافة الكون أقل من الكثافة الحرجة فإن الكون سيستمر في توسعه إلى الأبد، ومعنى ذلك أن الكون مفتوح (النموذج الثاني).

وأما إذا كانت كثافة الكون أكبر من الكثافة الحرجة، فإن الكون سيعاني من الانسحاق والانهيار على نفسه ويكون حينئذ الكون كروياً مغلقاً على نفسه (النموذج الثالث).

تتميم: إن اكتشاف المادة المظلمة (Dark matter) في الكون والتي تشكِّل مع الطاقة المظلمة حوالي أكثر من ٩٠٪ من كتلة (مادة وطاقة) الكون، جعلت العلماء يتأكدون أن كثافة الكون تزيد على الكثافة الحرجة، وبالتالي فإن الكون له شكل كروي مغلق.

ومعنى ذلك أن (الانسحاق العظيم) هو المصير الذي ينتظر الكون.

وهذا النموذج الذي طرحه علماء الفلك اليوم على أنه المصير النهائي للكون قد نطق به القرآن الكريم – حسب الظاهر والله العالم – في الآية المتقدمة.

وقد أشار إلى ذلك آينشتاين في نظرية (النسبية العامة) على حدِّ قول الفيزيائي الفلكي (ستيفن هوكنج) حيث ذكر: «إن الزمكان بدأ في متفرد هو لحظة الانفجار العظيم (Big bang) وأنه صائر إلى الانسحاق العظيم (Big crunch)»[٨٨].

وهناك تطبيقات أخرى كثيرة من قبيل: دحو الأرض في قوله تعالى: «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»[٨٩]

وإرسال الرياح لواقح: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...»[٩٠]

والضياء والنور، ظلمات ثلاث، الرتق والفتق ....

ب – القضايا الأنفسية (أو النفسية)

١-أصل الإنسان: نظرية التطور (لداروين)

قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[٩١]

فقد فسَّر بعضهم هذا التسلسل في مراحل خلق الإنسان على وفق نظرية النشوء والارتقاء لداروين أو قام بتطبيق النظرية المذكورة على الآية.

وقد رفضت من قبل العلماء مثل السيد قطب كما مرَّ ذكره.

٢-خلق الإنسان من نفس واحدة وجعل زوجها منها:

حيث فسِّرت النفس بـ(البروتون) والزوج بـ (الإلكترون)، ولا دليل واضح عليه، ولعله من الأفراط الذي وقع فيه بعض الباحثين.

ثانياً: تقسيمها إلى:

١-التفسير المقبول: مثل قوله تعالى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»[٩٢]

فقد ثبت في العلم الحديث حركة الشمس في مسار (مدار) وتنتهي إلى موقع معين هو «النسر الواقع».

٢-التفسير غير المقبول: كما في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا»[٩٣] وقوله تعالى: «خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا»[٩٤]

فقد فسر بعضهم علمياً (النفسَ) بالبروتون الذي يستقر في نواة الذرة و (زوجها) بالإلكترون الذي يدور حول النواة، وقد تقدم التعليق عليه.

ثالثاً: تقسيمها حسب العلوم الحديثة:

١-علم الطب: قوله تعالى:»وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»[٩٥] فقد فُسرت هذه الآية على أنها تشير إلى علم الطب.

٢-علم الفلك والهيئة: والآيات كثيرة التي تذكر الشمس والقمر والنجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى كالشهب ...

٣- علم الأجواء والمناخ: مثل قوله تعالى: «اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ»[٩٦]

وكذلك قوله تعالى في سورة النور: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء»[٩٧]

٤-علم الأحياء والأجنَّة: مثل قوله تعالى: «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ»[٩٨].

وغيرها من العلوم والمسائل العلمية كعلم الهندسة والفيزياء والكيمياء ...

مسوغات قبول ما يقبل من التفسير العلمي

إن المعاني القرآنية لم تنحصر فيما قاله الأقدمون، وقد علمنا عدم الحصر مما يأتي:

١- إن القرآن لا تنقضي عجائبه، كما قالت الأحاديث، وما ذلك إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير.

٢-سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلم إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن»[٩٩]

٣-عن ابن عباس: «لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى»[١٠٠]

٤- عن ابن مسعود: «أنزل في هذا القرآن كل علم وبيَّن لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عمَّا بيَّن لنا في القرآن»[١٠١]

٥-عن ابن مسعود: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»[١٠٢]

وعن بعض العلماء: «لكل آية ستون ألف فهم وما بقي فهو أكثر»[١٠٣]

وقد ذكر: إن الدلالة القاطعة والحقيقة العلمية الراسخة المتعارضتين شيء لا وجود له[١٠٤].

الهوامش

١- سورة الروم: ٨.

٢- سورة محمد: ٢٤.

٣- سورة العنكبوت: ٢٠.

٤- العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص٢٩٨.

٥- الفضلي، عبد الهادي،أصول البحث، ص ٥٠.

٦- المصدر السابق، نقلاً عن المعجم الفلسفي ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب

٧- المصدر السابق.

٨- المصدر السابق.

٩- التقسيم التالي منقول بتلخيص من أصول البحث ، لعبد الهادي الفضلي، ص٥١، ٥٥.

١٠- انظر: الفضلي، عبد الهادي، أصول البحث، ص٥٥.

١١- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٨.

١٢- المصدر السابق.

١٣- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٩.

١٤- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ج٥، ص٥٥.

١٥- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٣٣.

١٦- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، ص٧.

١٧- الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤.

١٨- معرفت، محمد هادي،التفسير والمفسرون

في ثوبه القشيب، ص١٧.

١٩- انظر: المظفر، محمد رضا، المنطق، ص

٢٥، الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ١٤٦.

٢٠- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٤٧.

٢١- المصدر السابق.

٢٢- مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق (ع)، ص١٦.

٢٣- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٤٧، اختصار.

٢٤- الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧.

٢٥- الذهبي، محمد حسين،التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤١٧.

٢٦- عبد المجيد عبد المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، ص٢٤٧، نقلاً عن أحمد عمر أبو حجر،التفسير العلمي في الميزان.

٢٧- عبد الغفور محمود، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، ص ٧٨١.

٢٨- ومن أمثلة ذلك ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عندما سأله الحسين بن خالد عن قول الله تعالى: {والسماء ذات الحبك}، قال: «هي محبوكة إلى الأرض» وشبك بين أصابعه ..... (انظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم، ج٢، ص٣٢٨)

٢٩- السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١٠، ص٣٨١.

٣٠- السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، صـ٨٢.

٣١- انظر: الحسني، نذير،المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٥٥.

٣٢- سورة آل عمران: ١٩٠-١٩١.

٣٣- سورة محمد: ٢٤.

٣٤- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٥٥.

٣٥- أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص٩٧-٩٨.

٣٦- العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، ج٢، ص٢٠٤.

٣٧- الخضر، أسامة علي، موسوعة القرآن والكون، ص٨١٢.

٣٨- انظر: الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٥٣.

٣٩- سيأتي في التطبيقات نموذجاً لذلك، في تفسيره لقوله تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ».

٤٠- سورة المعارج: ٤٠.

٤١- انظر: الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، معاني الأخبار، ص٢٢١.

٤٢- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٨٩، باب ٤.

٤٣- يراجع: الفخر الرازي، محمد بن عمر، تفسير مفاتيح الغيب، ج١، ص٣٣٦

٤٤- انظر: الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص٣٤-٤٦.

٤٥- الجوهري الطنطاوي، عبد الواحد بن محمد، الجواهر في تفسير القرآن، ج١، ص٨٤-٨٩.

٤٦- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج

والاتجاهات التفسيرية، ص١٦٧ بتصرف.

٤٧- المصدر السابق.

48- The bible the quran and science.

Maurice bucaille

٤٩- الرضائي، محمد علي،دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٦٧ بتصرف.

٥٠- سورة النحل: ٨٩.

٥١- كقوله تعالى: «وكل شيء فصلناه تفصيلاً»، «وكل شيء أحصيناه كتاباً»، «نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء» ...

٥٢- سئل أمير المؤمنين (عليه السلام): هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلم إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن»، وعن ابن مسعود: «أنزل في هذا القرآن كل علم وبيَّن لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عمَّا بيَّن لنا في القرآن» وتأتي الشواهد والإشارات الأخرى نهاية البحث.

٥٣- الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٦٩-١٧٠.

٥٤- المالكي الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الفقه، ج٢، ص٧٩-٨٠، بتلخيص.

٥٥- سورة النحل: ٨٩.

٥٦- سورة الأنعام: ٣٨.

٥٧- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٤٢٩.

٥٨- انظر: الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٧١-١٧٥.

٥٩- المصدر السابق.

٦٠- سورة المؤمنون: ١٢.

٦١- سورة الفرقان: ٢.

٦٢- سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٤٥٨.

٦٣- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ج٢، ص٥٣٠.

٦٤- سورة لقمان: ١٠.

٦٥- أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص٢٣١.

٦٦- المصدر السابق، ص١١٣.

٦٧- الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٧-٨.

٦٨- سورة الأنبياء: ٣٠.

٦٩- الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص٢٧٩.

٧٠- سورة الذاريات: ٤٧.

٧١- الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، ج١٨، ص٣٨٢.

٧٢- الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٦٥.

٧٣- المصدر السابق نفسه، ص١٧٧ بتصرف.

٧٤- المصدر السابق، ص١٧٨ بتصرف.

٧٥- السيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج١، ص٢٦٠.

٧٦- الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص١٨٣ باختصار.

٧٧- سورة فصلت: ١١.

٧٨- الخضر، أسامة علي، موسوعة القرآن والكون، ص٨٠٦.

٧٩- سورة لقمان: ١٠.

٨٠- سورة الرعد: ٢.

٨١- الخضر، أسامة علي، موسوعة القرآن والكون، ص٧٩٨.
٨٢- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٧، ص٧٩.
٨٣- سورة الحاقة: ١٧.
٨٤- الشيخ الرئيس، علي بن سينا، رسائل ابن سينا، ص١٢٤.
٨٥- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٥٧، ص٥، نقلاً عن المناهج والاتجاهات التفسيرية، السيد نذير الحسني.
٨٦- سورة الذاريات: ٤٧.
٨٧- سورة الأنبياء: ١٠٤.
٨٨- الخضر، أسامة علي، موسوعة القرآن والكون، ص٨١٠-٨١١.
٨٩- سورة النازعات: ٣٠.
٩٠- سورة الحجر: ٢٢.
٩١- سورة المؤمنون: ١١٢-١٤.
٩٢- سورة يس: ٣٨.
٩٣- سورة النساء: ١.
٩٤- سورة الزمر: ٦.
٩٥- سورة الشعراء: ٨٠.
٩٦- سورة الروم: ٤٨.
٩٧- سورة النور: ٤٣.
٩٨- سورة النجم: ٣٢.
٩٩- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٤، ص٣٠.
١٠٠- الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن، ج٦، ص١٩١.
١٠١- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج٣، ص١٨٩؛ الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن، ج٦، ص١٩٠.
١٠٢- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، ص١٢٣.
١٠٣- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٥٤.
١٠٤- عبد الغفور محمود، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، ص٧٨١.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. أبو حجر، أحمد عمر، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، دار قتيبة، ط١، ١٩٩١م.
٣. الآلوسي، شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مكتبة أهل البيت(ع)، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٤. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٥. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٦. الحسني، نذير، المناهج والاتجاهات التفسيرية، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٧. الخضر، أسامة علي، القرآن والكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٨. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، ط٢، ١٩٧٦م.
٩. الرضائي، محمد علي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ط١، قم، إيران،

١٤٢٦هـ.
١٠.الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ١٣١٠هـ.
١١.السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مكتبة أهل البيت، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
١٢.السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم.
١٣. سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٣٨٦هـ.
١٤.الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير،عالم الكتب، بدون ذكر تاريخ النشر.
١٥.الشيخ الرئيس، علي بن سينا، رسائل ابن سينا، طبعة الهند، ١٩٠٨م
١٦.الصدوق، محمد بن علي بن الحسين، معاني الأخبار، جماعة المدرسين في حوزة قم، ١٣٦١هـ ش.
١٧.الطباطبائي، محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة مطبوعات إسماعيليان، قم، إيران، ١٣٩٣هـ.
١٨.الطنطاوي جوهري، عبد الواحد بن محمد، الجواهر في تفسير القرآن، دار الفكر، بدون ذكر مكان النشر، بدون تاريخ.
١٩.عبد الغفور محمود، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٢٠.عبد المجيد عبد المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الحديث، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٢١.العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران.
٢٢.الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٢٣.الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٤.الفضلي، عبد الهادي،أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم إيران.
٢٥.الكواكبي، عبد الرحمن بن أحمد، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد.
٢٦.المالكي الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الفقه، بدون ذكر الناشر وتاريخ النشر.
٢٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، المكتبة الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٩٨هـ.
٢٨. مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق (ع)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
٢٩. معرفت، محمد هادي،التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد، إيران، ١٤١٨هـ.
٣٠. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٨٥م.
٣١. The bible the quran and science., Maurice bucaille
٣٢. ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة ، قم، ايران، ١٤٠٥ هـ.
٣٣. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع – بيروت – لبنان.
٣٤. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ايران، ١٤١٢ هـ.
٣٥. المظفر، محمد رضا، المنطق، مؤسسة انتشارات دار العلم، إيران، قم، ط٣، ١٣٨٤ هـ.ش.